مقدمة

حين أنعم الله – تقدَّس اسمه – علىّ بتأليف كتابى: «الوجيز فى تفسير القرآن الكريم» كنت أرجع فى تفسير القسَم القرآنى إلى كتاب «التبيان فى أقسام القرآن» لابن قيم الجوزية. ورأيت أن أضع بجوار عمله القيِّم هذا الموجز لعرض القسَم فى القرآن عرضًا مبسطًا دقيقًا تيسيرًا على القراء.

والقسَم – وجمعه أقسام – اليمين، وفعله أقسم أى حَلف ولا يتعدى بنفسه، إنما يتعدى بثلاثة أحرف، هى واو القسم الجارة، والياء، والتاء الجارّتان فيقال: أقسم والله، وأقسم بالله، وأقسم تالله. والواو أكثر من أختيها شيوعًا فى القسم وتليها الباء، ثم التاء وهى أقلها استعمالاً فى مثل: تالله لأسافرنّ. ولكثرة دوران القسم فى الكلام يكثر حذف الفعل فيه، ويكتفى بالحرف الجار، فيقال مثلاً: والله لأكتبنَّ، أو بالله أو تالله.

والصفحات التالية فى عرض القسم فى القرآن موزّعة فى بابين: باب أول خاص بالمُقسم به، وهو فى ثلاثة فصول: فصل عن الذات العليّة والملائكة والقرآن، وفصل ثان عن الظواهر الكونية، وفصل ثالث عن نفس الإنسان وما يتصل به من القلم فى الكتابة والخيل

فـي الحـرب والأمـاكن المقدسـة. وبـاب ثـان عـن المقسـم عليه، وهو أيضًـا فـي ثلاثـة فصـول: فصـل عـن أصول الإيمان، وفصل ثان عن أحـوال الـناس، وفصـل ثالـث عـن المعـاد ومـا يرتـبط به من البعث والحساب والجزاء.

وقـد يقـال: ما الحكمة فى قسَم الله تعالى المتكرر فى القرآن، وهو إن كان لإقناع المؤمن فهو مقتنع بكلام ربه ولا يحتاج إليه، وإن كان لإقـناع الكافـر فهـو لا يقتـنع بـه، لأنـه مكـذَّب لكـل ما يسمعه من القـرآن، فمـا الحكمـة إذن فـي القسم القرآنى؟ ولعل خير جواب أن العـرب كـانوا يكثرون من القَسَم على كلامهم، والقرآن نزل بلغتهم، فأكـثر الله مـن استخدام القسم فى كلامه تأكيدًا له مجاراة لهم. وقد يقـال أيضًـا لماذا لم يكتف الله فى القرآن بقسمه بنفسه، وأقسم مرارًا بمخلوقاتـه؟ والجـواب أن العـرب كـانوا يعظمـون تلـك المخلوقـات ويقسـمون بهـا فحاكـاهم القـرآن فى ذلك للفت العرب إليها والدلالة على قدرته العظمى فى خلقها وصنعها وما سخَّرها له.

ومباحـث القسـم فى القرآن مباحث طريفة، وسأحاول فى الصحف التالية عرضها فى بابىّ المقسم به والمقسم عليه عرضًا ميسرًا مبسطًا، والله أسأل أن يلهمنى دائمًا السداد فى الفكر والقول والعمل.

غرَّة المحرم سنة ١٤٢٢ هـ

شوقى ضيف